علي باشا مبارك

من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

اذهب إلى التنقلاذهب إلى البحث

هذه المقالة عن علي باشا مبارك. لمعانٍ أخرى، طالع مبارك (توضيح).

علي باشا مبارك



معلومات شخصية	
اسم الولادة	علي مبارك
الميلاد	1823 برنبال الجديدة
الوفاة	1893 القاهرة
الجنسية	مصري
نشأ في	مصر
الديانة	الإسلام السني
الأب	الشيخ مبارك
مناصب	

وزير الموارد المائية والري

في المنصب

28 أغسطس 1878 – 23 فبراير 1879

مجلس الوزراء	نظارة نوبار باشا الأولى

ناظر الأوقاف والمعارف العمومية

في المنصب

10 مارس 1879 – 7 أبريل 1879

مجلس الوزراء	نظارة محمد توفيق باشا الأولى

وزير الموارد المائية والري

في المنصب

10 مارس 1879 – 7 أبريل 1879

مجلس الوزراء	نظارة محمد توفيق باشا الأولى

وزير الموارد المائية والري

في المنصب

21 سبتمبر 1879 – 10 سبتمبر 1881

مجلس الوزراء	نظارة مصطفى رياض باشا الأولى

وزير الموارد المائية والري

في المنصب

21 أغسطس 1882 – 10 يناير 1884

مجلس الوزراء	نظارة محمد شريف باشا الرابعة

وزير التربية والتعليم	
في المنصب	
9 يونيو 1888 – 12 مايو 1891	
مجلس الوزراء	نظارة مصطفى رياض باشا الثانية
الحياة العملية	
المدرسة الأم	مهندسخانة
المهنة	كاتب، وسياسي
اللغات	العربية[1]

تعديل مصدري - تعديل

هذه المقالة لا تحتوي إلّا على **استشهادات عامة** فقط. فضلًا، ساهم بتحسينها **بعزو الاستشهادات إلى المصادر في متن المقالة**. *(يناير 2013)*

علي باشا مبارك (1823-1893م) اقترن اسمه في تاريخ مصر الحديث بالجانب العملي للنهضة والعمران، وتعددت إسهاماته فيها.

محتويات

المولد والنشأة[عدل]

ولد **علي مبارك** في قرية برمبال الجديدة والتابعة لمركز منية النصر حاليا و التي كانت تتبع حين ذاك مركز دكرنس محافظة الدقهلية سنة 1239 هـ / 1823م، ونشأ في أسرة كريمة، عندما ولد علي مبارك فرح أهل القرية كلها بمولده مجاملة لأبيه ولأمه التي لم تلد من قبله سوى الإناث، و، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ودفعه ذكاؤه الحاد وطموحه الشديد ورغبته العارمة في التعلم إلى الخروج من بلدته ليلتحق بمدرسة الجهادية بالقصر العيني سنة (1251 هـ / 1835م) وهو في الثانية عشرة من عمره، وكانت المدرسة داخلية يحكمها النظام العسكري الصارم، وبعد عام ألغيت مدرسة الجهادية من القصر العيني، واختصت مدرسة الطب بهذا المكان، وانتقل علي مبارك مع زملائه إلى المدرسة التجهيزية بأبي زعبل، وكان نظام التعليم بها أحسن حالاً وأكثر تقدمًا من مدرسة القصر العيني. حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أحمد أبي خضر عندما كان يذهب إلى الشيخ أحمد بي خضر يراه كاشر الوجه قاسي الطبع بجوار عصا غليظة تهوى على جسد الأولاد لأتفه الأسباب ففزع (علي) فكره الشيخ مضى خمس سنوات اختُيِرَ مع مجموعة من المتفوقين للالتحاق بمدرسة المهندسخانة في بولاق سنة (1255 هـ / 1839 م)، وكان ناظرها مهندس فرنسي يسمى "يوسف لامبيز بك، ومكث علي مبارك في المدرسة خمس سنوات درس في أثنائها الجبر والهندسة والكيمياء والمعادن والجيولوجيا، والميكانيكا، والفلك، والأراضي وغيرها، حتى تخرج فيها سنة(1260 هـ / 1844 م).

البعثة إلى فرنسا[عدل]

اختير ضمن مجموعة من الطلاب النابهين للسفر إلى فرنسا في بعثة دراسية سنة (1265 هـ/ 1849)م، وضمت هذه البعثة أربعة من أمراء بيت محمد علي: اثنين من أبنائه، واثنين من أحفاده، أحدهما كان إسماعيل بك إبراهيم، الذي صار بعد ذلك الخديوي إسماعيل، ولذا عرفت هذه البعثة باسم بعثة الأنجال، واستطاع بجِدّه ومثابرته أن يتعلم الفرنسية حتى أتقنها، و كان مع إثنين من زملائه من المتفوقين ولم يكن له سابقة بها قبل ذلك، وبعد أن قضى ثلاث سنوات في المدفعية والهندسة الحربية، وكان معلمه في الحربية هو محمود مليجى وظل بها عامين، التحق بعدهما بالجيش الفرنسي في فرنسا للتدريب ولم تطل مدة التحاقه؛ إذ صدرت الأوامر من عباس الأول الذي تولى الحكم بعودة علي مبارك.

في عهد عباس الأول[عدل]

بعد عودته إلى مصر عمل بالتدريس، ثم التحق بحاشية عباس الأول مع اثنين من زملائه في البعثة، وأشرف معهما على امتحان المهندسين، وصيانة القناطر الخيرية، ويقوم معهما بما يكلفون به من الأعمال، فعرض على عباس الأول مشروعًا لتنظيم المدارس تبلغ ميزانيته مائة ألف جنيه، فاستكثر عباس الأول المبلغ، وأحال المشروع إلى علي مبارك وزميليه، وكلفهم بوضع إدارة ناظر واحد، وإلغاء مدرسة

الرصدخانة لعدم وجود من يقوم بها حق القيام من أبناء الوطن، وإرجاء فتحها حتى تعود البعثة التي اقترح إرسالها إلى أوروبا فتديرها.

بعد أن تولى إدارة ديوان المدارس أعاد ترتيبها وفق مشروعه، وعين المدرسين، ورتّب الدروس، واختار الكتب، واشترك مع عدد من الأساتذة في تأليف بعض الكتب المدرسية، وأنشأ لطبعها مطبعتين، وباشر بنفسه رعاية شئون الطلاب من مأكل وملبس ومسكن، وأسهم بالتدريس في بعض المواد، واهتم بتعليم اللغة الفرنسية حتى أجادها الخريجون.

في حرب القرم[عدل]

ظل علي مبارك قائمًا على ديوان المدارس حتى تولى سعيد باشا الحكم في 16 يوليو 1854 فعزله عن منصبه وعن نظارة مدرسة المهندسخانة بفعل الوشاة والاكاذيب من اعدائه وحساده، وألحقه بالقوات المصرية التي تشارك مع الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا، وقد انتهت هذه الحرب المعروفة بحرب القرم بانتصار العثمانيين.

استغرقت مهمته سنتين ونصف سنة، أقام منها في إسطنبول أربعة أشهر، تعلم في أثنائها اللغة التركية، ثم ذهب إلى منطقة القرم وأمضى هناك عشرة أشهر، واشترك في المفاوضات التي جرت بين الروس والدولة العثمانية، ثم ذهب إلى بلاد الأناضول حيث أقام ثمانية أشهر يشرف على الشئون الإدارية للقوات العثمانية المحاربة، وينظم تحركاتها، وأقام مستشفى عسكري بالجهود الذاتية لعلاج الأمراض التي تفشت بين الجنود، لسوء الأحوال الجوية والمعيشية، وبعد عودته إلى القاهرة فوجئ بأن سعيد باشا سرح الجنود العائدين من الميدان، وفصل كثيرًا من الضباط، وكان علي مبارك واحدًا ممن شملهم قرار إنهاء الخدمة.

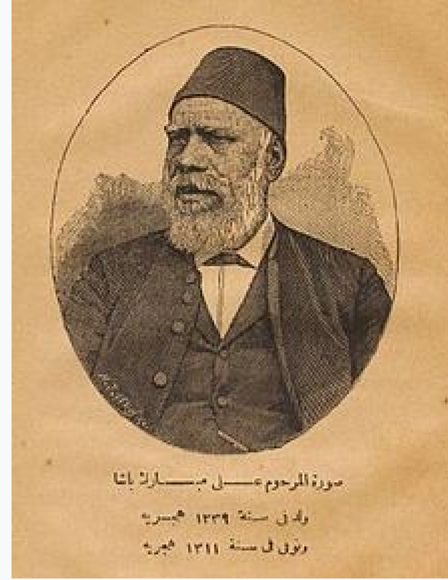
من نظارة المعارف إلى معلم لمحو الأمية[عدل]

عزم علي مبارك بعد فصله من وظيفته على الرجوع إلى بلدته برنبال والاشتغال بالزراعة, غير أن الله أراد له خيرا فعاد إلى الخدمة بديوان الجهادية, وتقلّب في عدة وظائف مدنية، ولا يكاد يستقر في وظيفة حتى يفاجأ بقرار الفصل والإبعاد دون سبب أو جريرة، ثم التحق بمعية سعيد دون عمل يتناسب مع قدرته وكفاءته، حتى إذا طلب سعيد من أدهم باشا الإشراف على تعليم الضباط وصفّ الضباط القراءة والكتابة والحساب، احتاج أدهم باشا إلى معلمين للقيام بهذه الوظيفة، وسأل علي مبارك أن يرشح له من يعرف من المعلمين الصالحين لهذا المشروع، فإذا بعلي مبارك يرشح نفسه لهذا العمل، وظنّ أدهم باشا أن علي مبارك يمزح!؛ فكيف يقبل من تولّى نظارة ديوان المدارس أن يعمل معلمًا للقراءة والكتابة؟! لكن علي مبارك كان جادًا في استجابته، وعزز رغبته بقوله له: «وكيف لا أرغب انتهاز فرصة

تعليم أبناء الوطن وبث فوائد العلوم؟! فقد كنا مبتدئين نتعلم الهجاء، ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه».

لما عرض أدهم باشا الأمر على سعيد أسند الإشراف على المشروع لعلي مبارك، فكون فريق العمل، ووضع المناهج الدراسية وطريقة التعليم، واستخدم كل وسيلة تمكنه من تحقيق الهدف، فكان يعلّم في الخيام، ويتخذ من الأرض والبلاط أماكن للكتابة، ويكتب بالفحم على البلاط، أو يخط في التراب، فلما تخرجت منهم دفعة، اختار من نجبائهم من يقوم بالتدريس، ثم أدخل في برنامج التدريس مادة الهندسة، ولجأ إلى أبسط الوسائل التعليمية كالعصا والحبل لتعليم قواعد الهندسة، يجري ذلك على الأرض حتى يثبت في أذهانهم، وألّف لهم كتابًا سماه تقريب الهندسة. وهكذا حول هذا المعلم المقتدر مشروع محو الأمية إلى ما يقرب من كلية حربية. وما كادت أحواله تتحسن وحماسه للعمل يزداد حتى فاجأه سعيد باشا بقرار فصل غير مسئول في مايو 1862.

أعماله[عدل]



علي باشا مبارك كما ظهر في صدر كتاب عن سيرته ألّفه محمد دري باشا الحكيم ونشر عام 1894

تولى الخديوي إسماعيل الحكم في 18 يناير 1863 وكان قد زامل علي مبارك في بعثة الأنجال, فاستدعاه فور جلوسه على عرش البلاد، وألحقه بحاشيته، وعهد إليه قيادة مشروعه المعماري العمراني، بإعادة تنظيم القاهرة على نمط حديث: بشق الشوارع الواسعة، وإنشاء الميادين، وإقامة المباني والعمائر العثمانية الجديدة، وإمداد القاهرة بالمياه وإضاءتها بالغاز، ولا يزال هذا التخطيط باقيًا حتى الآن في وسط القاهرة، شاهدا على براعة علي مبارك وحسن تخطيطه. أسند إليه إلى جانب ذلك نظارة القناطر الخيرية ليحل مشكلاتها، فنجح في ذلك وتدفقت المياه إلى فرع النيل الشرقي لتحيي أرضه وزراعاته، فكافأه الخديوي ومنحه 300 فدان، ثم عهد

الخديوي إليه بتمثيل مصر في النزاع الذي اشتعل بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس فنجح في فض النزاع؛ الأمر الذي استحق عليه أن يُكرّم من العاهلين: المصري والفرنسي فعهد اليه بنظارة

المدارس، مع بقائه ناظرًا على القناطر الخيرية وفي أثناء ذلك أصدر لائحة لإصلاح التعليم عُرفت بلائحة رجب سنة(1284 هـ / 1868 م) ثم ضم إليه الخديوي ديوان الأشغال العمومية، وإدارة السكك الحديدية ونظارة عموم الأوقاف والإشراف على الاحتفال بافتتاح قناة السويس. ومع ظهور الوزارات كمؤسسات هامة في حكم البلاد سنة 1878 تولى علي مبارك ثلاث وزارات: اثنتين منها بالأصالة، هما الأوقاف والمعارف، والثالثة هي الأشغال العمومية.

من أعماله أيضا ترجمته لكتاب تحت عنوان: «تاريخ العرب».من الفرنسية إلى العربية بحكم إتقانه اللغة الفرنسية. وهذا الكتاب من المصادر الهامة في التاريخ.

دار الكتب المصرية[عدل]

غير أن أعظم ما قام به علي مبارك ولا يزال أثره باقيًا حتى الآن، هو إنشاؤه دار العلوم ذلك المعهد الذي لا يزال يمد المدارس بصفوة معلمي اللغة العربية كما أصدر مجلة روضة المدارس لإحياء الآداب العربية، ونشر المعارف الحديثة.

مؤلفاته[عدل]

ترك علي مبارك مؤلفات كثيرة تدل على نبوغه في ميدان العمل الإصلاحي والتأليف، فلم تشغله وظائفه على كثرتها وتعدد مسئولياتها عن القيام بالتأليف،

- الأعمال الكاملة لعلى مبارك – تحقيق محمد عمارة
- الخطط التوفيقية وتأتي على رأس أعماله، ولو لم يكن له من الأعمال سواها لكفته ذكرًا باقيا، وأثرًا شاهدًا على عزيمة جبارة وعقل متوهج، وقلم سيّال، يسطر عملاً في عشرين جزءًا يتناول مدن مصر وقراها من أقدم العصور إلى الوقت الذي اندثرت فيه أو ظلت قائمة حتى عصره، واصفًا ما بها من منشآت ومرافق عامة مثل المساجد والزوايا والأضرحة والأديرة والكنائس وغير ذلك. في عشرين مجلدًا، وصف فيها مدن مصر وقراها وآثارها وجغرافيتها وتاريخها في العصور القديمة والحديثة، وتعد إكمالاً لخطط المقريزي، وجعل الستة أجزاء الأولى للقاهرة والسابع للإسكندرية، والأجزاء الأخرى لسائر المدن المصرية وبلداتها وقراها.
- وله كتاب علم الدين وهو موسوعة ضخمة حوت كثيرًا من المعارف والحكم، ويقع في أربعة أجزاء، تحوي على 125 مسامرة، كل واحدة تتناول موضوعًا بعينه كالبورصة، والنحل وأوراق المعاملة، والهوام والدواب. ، وهو كتاب تدور أحداثه على عالم أزهري سمّاه عَلَم الدين، ورجل إنجليزي وفد إلى مصر وتعلم العربية، وفيه معلومات مهمة ونوادر وبحوث.

- حياتي
- خلاصة تاريخ العرب - لويس سيديو - مراجعة على مبارك
- نخبة الفكر في تدبير نيل مصر
- آثار الإسلام في المدنية والعمران" وهو آخر كتبه
- تنوير الأفهام في تَغَذِّي الأجسام
- الميزان في الأقيسة والمكاييل والأوزان

إلى جانب ذلك له كتب مدرسية منها:

- تقريب الهندسة
- تذكرة المهندسين
- حقائق الأخبار في أوصاف البحار،
- سوق الجيوش
- الاستحكامات العسكرية
- طريق الهجاء والتمرين

وفاته[عدل]

كانت نظارة المعارف في وزارة رياض باشا آخر مناصب علي مبارك فلما استقالت سنة 1891م لزم بيته، ثم سافر إلى بلده لإدارة أملاكه، حتى مرض، فرجع إلى القاهرة للعلاج، فاشتد عليه المرض حتى وافته المنية في 14 نوفمبر 1893م.

علي باشا مبارك .. رجل المهمات الصعبة

د: محمد موسى الشريف

05:00-2012/06/11

ملخص المقال

جاء علي مبارك في زمن صعب، إذ لم يكن في مصر آنذاك أسس الدولة الحديثة في جوانب كثيرة.. فما قصة حياة علي باشا مبارك؟ وما أهم إنجازاته؟





لقد جاء علي مبارك (1239- 1311هـ/ 1824- 1893م) في زمن صعب؛ إذ لم يكن في مصر آنذاك أسس الدولة الحديثة في جوانب كثيرة، فجاء هذا الرجل الفذّ بأفكار وأعمال يعجز عنها جماعة من الناس، ولم تأت هذه الأعمال من رجل ورث المجد كابرًا عن كابر، وخلفًا عن سلف، ولم تأت من شخص نشأ في أسرة غنية مرفهة أو مشهورة بالعالم، إنما كان علي مبارك عصاميًّا، نشأ في أسرة فقيرة من ريف مصر، وعانى في سبيل تحصيل العلم أشد الشدائد وأقسى المحن.

ولد الأستاذ علي مبارك في قرية برنبال الجديدة التابعة لمركز المنصورة في محافظة الدقهلية، وكانت أسرته كثيرة العدد قليلة ذات اليد، ووالده رقيق الحال يُسمّى مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروَجي، كان إمامًا وخطيبًا وقاضيًا في قريته، ورث تلك الوظائف عن آبائه، وقد فرحت القرية كلها به؛ لأنه جاء بعد سبع بنات.

وبسبب الظلم المسلط على الفلاحين آنذاك، تركت العائلة القرية وتنقلت في البلاد إلى أن استقرت في عرب السماعنة، وهناك حَسُن حال العائلة شيئًا ما، وأرسل مبارك ابنه عليًّا إلى الكُتّاب، لكن الطفل ضاق ذرعًا بسوء معاملة الشيخ، فرفض البقاء في الكُتّاب، ثم أرسله أبوه إلى أحد الكتبة ليعلمه، فبقي معه مدة، لكنه نفر منه لاستغلاله إياه وإيذائه له، فهرب منه وهَامَ على وجهه في البلاد حتى وصل إلى قرية بجهة المطرية، فأصابته الكوليرا، فأخذه رجل من أهل القرية وعالجه أربعين يومًا وأهله يبحثون عنه، فلما عرفوا مكانه، هرب منهم، لكنهم استطاعوا الوصول إليه، فأرجعوه إلى القرية..

فأخذه والده إلى كاتب المساحة ليتعلم عنده، لكنه وجده خَرِب الذمة، فنفر منه، ورجع إلى أبيه الذي ألحقه بعمل لدى كاتب مأمورية أبي كبير براتب خمسين قرشًا في الشهر، لكن الكاتب لم يكن يُسلِّم له راتبه، فلما قبض الغلام حاصل أبي كبير، أمسك منه راتبه، فلما عرف ذلك المأمور حقد عليه، فسجنه ووضع الحديد في رقبته، ولبث في السجن أكثر من عشرين يومًا في أحوال صعبة، ثم أفرج عنه بوساطة اجتهد فيها أبوه حتى أخرجه من السجن، وذهب به إلى مأمور زراعة القطن ليعمل عنده..

وهنا تغيرت حياته كلها؛ إذ إنه رأى المأمور فوجده أسود حبشيًّا، ووجد كبار القوم يقفون بين يديه ويتقربون إليه، فعجب الغلام من ذلك، وسأل عن السبب، فاهتدى إلى أن ذلك المأمور درس في مدرسة الجهادية بالقصر العيني، فاجتهد بكل وسيلة للالتحاق بتلك المدرسة في القاهرة، ولم تفلح توسلات أبيه وبكاؤه بين يديه لإثنائه عن ذلك، واستطاع الغلام بذكائه الفطري أن يُقنع مَن جاء من القاهرة ليختار نجباء التلاميذ الصغار ليلحقهم بمدرسة القصر العيني، أقنعه بصلاحيته للدراسة، فأُخذ إلى القاهرة، وقد كان عمره آنذاك اثني عشر عامًا، وذلك في سنة 1251هـ/1835م، ودخل المدرسة التي لم تكن مدرسة بالمعنى المعروف، بل هي أشبه بثكنة عسكرية، والدروس ضعيفة، والطعام لا يكاد يكفي الطفل الصغير، حتى صار يمصّ العظم الذي يتركه الآكلون، والضرب والسب هو الأمر السائد في المدرسة..

فمرض الغلام وأُصيب بالجرب، فنقل إلى المستشفى، وبقي فيه مدة حتى جاء أبوه ليأخذه خفية، فرفض؛ لأن مَن يهرب من المدرسة يُنكل بأهله ويقبض عليهم حتى يسلم الفارّ نفسه!!

فعاد إلى المدرسة وبقي فيها سنة، ثم نُقل إلى المدرسة التجهيزية بأبي زعبل، وأصبح الغلام تدريجًا مقبلاً على الدراسة، بل نبغ فيها حتى اختير لمدرسة المهندسخانة -مثل كلية الهندسة اليوم- ببولاق وذلك سنة 1255هـ/1839م، فأقام بها خمس سنين، وكان دائمًا أول فرقته.. وفي ذلك الوقت أراد محمد علي باشا حاكم مصر أن يرسل أبناءه إلى فرنسا للدراسة فيها، وأمر باختيار بعض الطلاب النابغين ليدرسوا مع أبنائه، فاختير علي مبارك، وكان ناظر المهندسخانة فرنسيًّا يُدعى لامبير، وكان يريد أن يستبقي علي مبارك ليكون معلمًا في المدرسة وحاول إغراءه، لكنه رفض وسافر إلى فرنسا سنة 1265هـ/1849م، وكان في البعثة اثنان من أبناء محمد علي واثنان من أحفاده، أحدهما اسمه إسماعيل بن إبراهيم، وهو الخديوي إسماعيل فيما بعد؛ ولذا سميت البعثة ببعثة الأنجال.

ومن همته العالية أنه لما سافر إلى فرنسا لم يكن يعرف الفرنسية، وطلب القائمون الفرنسيون على البعثة من الطلاب الذين يعرفون الفرنسية أن يعلِّموها للطلاب الذين لا يعرفونها، فرفض الطلاب، فما كان من علي مبارك إلا أن تعلّم الفرنسية دون معلم من كتب اقتناها في تعليم الأطفال الفرنسية، واجتهد في التعلم حتى لم يكن ينام من الليل إلا قليلاً، واجتهد في طلب العلم حتى إنه صار مقدمًا بين الطلاب..

وبعد سنتين تجاوز الامتحان في الشئون العسكرية بتفوق، ثم التحق بالجيش الفرنسي في الفرقة الثالثة من المهندسين الحربيين، فظل بها قرابة عام، ثم توفي إبراهيم باشا وتولى الحكم في مصر عباس الأول حفيد محمد علي، فأرجع الطلاب إلى مصر؛ لِما اشتُهر عنه من كراهيته تعليم المصريين؛ حتى لا تتفتح أعينهم على حقوقهم.

ولما عاد إلى مصر تقلب في الوظائف الرسمية والأعمال المهمة في زمن عباس الأول ومَن بعده سعيد وإسماعيل وتوفيق، فمن ذلك:

1- عضوية لجنة اختيار المهندسين وإحلال الأقوياء مكان الضعفاء، وتيسير الملاحة بالنيل.

2- تنظيم المدارس الملكية وترتيب ميزانيتها، ومنها مدرسته الأولى المهندسخانة، واختيار الكتب الملائمة لها.

3- المشاركة في الحملة المصرية لمؤازرة الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا، وهي المعروفة بحرب القرم، وذلك سنة 1270هـ/ 1854م، وقد مكث في سفره هذا سنتين ونصف السنة، تعلم فيها اللغة التركية، وكان مسئولاً عن التجنيد في مدينة طرابزون على البحر الأسود، فأحسن القيام بمهمته حتى حمد له سعيه أعيان المدينة، وأقام مستشفى عسكريًّا بالجهود الذاتية.

4- إدارة القناطر الخيرية، فأجرى تعديلات في نظام الري وتحويل الماء حتى وصل الماء إلى مساحات شاسعة كانت محرومة منه، فكافأه الخديوي بثلاثمائة فدان.

5- إدارة السكة الحديدية، فكان يباشر العمل فيها من الظهر إلى الغروب كل يوم.

6- إدارة نظارة الأوقاف، أي وزير الأوقاف، وقد وجدها مهملة فأحياها وضبطها وأحسن استغلال ريعها، وأنقذها من أطماع النُظّار وإهمالهم.

7- إنشاء دار الكتب المصرية التي سُمِّيت آنذاك بـ"الكُتبخانة الخديوية"، وذلك سنة 1287هـ/1870م، فأنقذ الله -تعالى- بها ما لا يُحصى من الكتب المهملة في المساجد والجوامع والمكتبات الخاصة، وتلك الكتب كانت نهبًا للأيدي السارقة، والأرَضة التي فتكت بالكثير منها، فسهل على الطلاب الوصول إليها والانتفاع بها.

8- نظارة الأشغال، وهذا مثل وزارة الشئون البلدية في يومنا هذا، فقام بتخطيط القاهرة وتنظيمها، وفتح كثيرًا من الشوارع فيها مثل شارع محمد علي وميدانه بالقلعة، وشارع الأزبكية وميدانها، وشارع عابدين وباب اللوق، وما زال تخطيطه قائمًا في القاهرة إلى الآن، وأضاء شوارع القاهرة بالغاز، وبَنَى مستشفى القصر العيني، ومدرسة للطب، وعمل مجاري القاهرة، وأنشأ المذبح "السَلَخانة"، وعمل الجسر بين قصر النيل والجزيرة، وأقام المنتزهات على ضفاف النيل، وفرش الطرق بالحصى للحد من الغبار، وأوصل مياه النيل إلى كثير من جهات القاهرة فدخل إلى بيوتها..

وكذلك أحدث في الإسكندرية تجديدات مهمة، وطهر التـرع والمصارف، وشق ترعة الإبراهيمية والإسماعيلية وكثيرًا من الترع، وأقام الجسور والقناطر على النيل، وأنشأ دور الدواوين بالمحافظات والمديريات، وأصلح السجون بعد أن كانت أقبية وكهوفًا مظلمة، وبَنَى المستشفيات بعد أن كانت في الدكاكين والإسطبلات، وشقّ الشوارع وغرس الأشجار على جوانبها، واجتهد في كل ذلك حتى قال: "وهذه الأعمال جميعها أو أكثرها كنتُ أباشر أوامرها من رسومات وشروط مع المقاولين ونحو ذلك، فكنت في مدة إحالة هذه الدواوين عليّ مشغولاً بالمصالح المِيريّة، وتنفيذ الأغراض الخديوية -أي الرئاسية- ليلاً ونهارًا؛ حتى لا أرى وقتًا ألتفت فيه لأحوالي الخاصة بي، ولا أدخل بيتي إلا ليلاً، بل كنت أفكر في الليل فيما يُفعل بالنهار".

ومن أهم ما صنعه في وزارة الأشغال أنه ألغى نظام سُخرة الفلاحين، وأحل مكانه نظام المقاولين.

9- أشرف على حفل افتتاح قناة السويس الذي دُعي إليه ملوك وأمراء أوربا، ثم عينه الخديوي إسماعيل ممثلاً لمصر في النـزاع القائم بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس، فنجح في فض النـزاع.

أهم أعمال علي مبارك
لكن أهم أعماله على الإطلاق إصلاح التعليم، وقد بذل في ذلك جهدًا كبيرًا حتى يمكن لي أن ألقبه "أبو التعليم المصري الحديث"، وقد ظهرت جهوده واضحة في الأعمال التالية:

1- مَدّن التعليم بعد أن كان عسكريًّا داخليًّا معتمدًا على القسوة والسباب.

2- عمل لائحة للمدارس ضبطت شئون الإدارة والطلاب بعد أن كان الأمر فوضى مرسلاً بدون ضوابط، وسميت لائحة رجب -نسبة لشهر رجب الذي انطلق فيه هذا المشروع، وذلك يوم كان المصريون والعرب يراعون الشهور العربية ويقدِّمونها على غيرها- وذلك في 1284هـ/1868م، وأجرى كثيرًا من ريع الأوقاف الخيرية على التعليم، وقد كان يجمع بين إدارتي التعليم والأوقاف، فسهُل عليه ذلك.

3- رفع أجور المدرسين وخدم المدارس.

4- جعل التعليم مجانيًّا للفقراء.

5- نظم التدريس في الكتاتيب، وقد كانت هي القاعدة العريضة للتعليم آنذاك.

6- أنشأ مدارس في معظم المدن وفتح مدارس للبنات.

7- ألف كثيرًا من الكتب المدرسية، ووضع المناهج لعدد من المدارس العليا خاصة الهندسة والحربية، واشترك مع آخرين في تأليف بعض الكتب، وأنشأ مطبعتين لطباعة الكتب المدرسية.

8- باشر بنفسه التعليم في أوقات كثيرة حتى زمن وزارته وبعدها، وكان يشرف على الطلاب بنفسه ويعلمهم كيف يلبسون وكيف يقرءون وكيف يكتبون، ويشرف على المعلمين وينصحهم، وكان -لهمته العالية- يجهد في تعليم الطلاب بكل وسيلة، حتى إنه كان يكتب لهم بالفحم على البلاط، ويخط لهم على التراب، ويعلمهم في الخيام؛ وذلك لقلة الوسائل التعليمية آنذاك، وكان يعلمهم القواعد الهندسية بالعصا والحبل!!

9- أنشأ دار العلوم المشهورة اليوم بالقاهرة، وجعل لطلابها مكافأة شهرية وصلت إلى مائة قرش، وكان هذا قَدْرًا ضخمًا من المال يمنح لطالب آنذاك.

10- أنشأ الصحافة المدرسية، وأول صحيفة كانت "روضة المدارس"، وابتدأت منتصف محرم سنة 1287هـ الموافق 17 فبراير 1870م، وجعل رفاعة بك رافع الطهطاوي مشرفًا عليها، وكتب فيها بنفسه.

مواقف في حياة علي مبارك

- شُغِل عن والدته فلم يرها ولم يسمع صوتها مدة أربع عشرة سنة، منذ أُخذ إلى مدرسة القصر العيني إلى أن عاد من فرنسا واشتغل بالمهام العديدة التي كُلِّف بها، فلا تسأل عن اللقاء وما جرى فيه من بثّ العواطف والأشواق.

- كان علي مبارك وهو طالب يستصعب جدًّا مادتي الهندسة والحساب "الرياضيات"، فإذا به ينبغ فيهما نبوغًا عجيبًا، سواء كان نبوغًا علميًّا أو عمليًّا.

- ومن همته أنه كان يبيت غالب أيامه جائعًا وهو طالب في طفولته، بل كان يمصّ العظام التي أكلها الآخرون، ثم إذا به يصبح في شبابه وكهولته وزيرًا لعدد من الوزارات.

- عانى كثيرًا من الحسد والوشايات حتى عُزل مرارًا من كثير من وظائفه، ثم يعود إليها ثم يُعزل، لكنه بقي ثابتًا على شيء واحد وهدف محدد، وهو خدمة الناس وإصلاح شئونهم.

- شارك في الجمعية العمومية التي عقدت من أربعمائة من أعيان المصريين للنظر في أمر الحملة الإنجليزية الهمجية على مصر سنة 1299هـ/1882م، ثم كان رئيسًا للجنة من ستة أشخاص سافرت إلى الإسكندرية للاتصال بالخديوي توفيق الذي كان ممالئًا للإنجليز ضد الثورة العُرابيّة، وكان من غرض اللجنة عقد مصالحة بين الخديوي والضابط الثائر أحمد عرابي، لكن الأمور لم تَسِر على ما يرام.

- بقي علي مبارك ناظرًا للمعارف "وزيرًا" حتى سنة 1308هـ/1891م، فلما استقالت وزارة رياض باشا عاد إلى بلده لتفقد أراضيه وإصلاحها، لكن القدر لم يُمهله، فمرض في مثانته وعاد إلى القاهرة، فاشتد عليه المرض حتى توفي سنة 1310هـ/1893م بمنـزله بالحلمية، رحمه الله تعالى وأعلى درجته.

- وهكذا كان علي مبارك معلمًا ووزيرًا للتعليم، ومهندسًا بارعًا بُني بتوجيهه وإشرافه كل المعالم الحضارية -تقريبًا- في مصر الحديثة، وهو المؤلف البارع الذي سَهّل على الطلاب كثيرًا من العلوم، وهو المصلح الاجتماعي الذي رفع كثيرًا من المظالم عن الفلاحين، وهو الإداري الحازم الذي وضع من النظم واللوائح ما أصلح به شأن الأوقاف والتعليم؛ فشخصيته متعددة المواهب، وأعماله كثيرة، لكنه أضحى من العظماء المنسيين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.